٦٠١

في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمأنينة الا التي في سورة البقرة وقد تقدم تفسيرها في
موضعها كما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل السكينة التي هي
الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين ويلزم من ذلك ثبات الاقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من
اسباب النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وذلك انه تعالى جعل السكينة
في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في قلوبهم وذلك ان كلما ورد عليهم امر ونهي فآمنوا به وعملوا بمقتضاه كان ذلك زيادة
في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم
الزكاة ثم الصوم ثم الجهاد حتى اكمل لهم دينهم فلما امر والشيء وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم
وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول
صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع وجميع التكاليف
البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم ولله جنود السموات والارض لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان
المؤمنون في قلة من العدد والعدد فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبر الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر
على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة وصاعقة ونحو ذلك
فلم يفعل بل انزل سكينته في قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم
فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض الثاني ان
جنود السموات الملائكة وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة
والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع جنوده الذين في
السموات والارض حكيما يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المؤمنون حكيما حيث جعل النصر على اعدائكم قوله عز وجل
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار فقوله ليدخل المؤمنين يستدعي سابقا تقديره هو الذي
انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية
ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم
سيئاتهم **فان قلت** تكفير السيئات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم
الجنة **قلت** الواو لا تقتضي الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلفين
اهل الجنة فقدم الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال والتكفير
كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني المنافقين والمنافقات
من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة انما قدم المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين
كانوا اشد على المؤمنين من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان يحترز
منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر وكان تقديم المنافق بالذكر اولى الظانين بالله ظن السوء يعني انهم
ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليهم دائرة السوء يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك
وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم وهلاكهم ولعنهم يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم
يعني في الآخرة وساءت مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره بقي ما فائدة
التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات والارض هنا قبل تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة التكرار
للتأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم ذكر السموات والارض
قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتوهم على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة

افضوا

افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شيء واخر ذكر جنود السموات والارض بعد
تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقونهم ابدا **فان قلت** قال
في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه وكان الله عزيزا حكيما فما معناه **قلت** لما كان في
جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان يكون
خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب
ان يكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله
اخذناهم اخذ عزيز مقتدر قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة شاهدا على اعمال امته ومبشرا يعني
لمن آمن به واطاعه بالثواب ونذيرا لمن خالفه وعصى امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى
لتؤمنوا بالله ورسوله فالضمير فيه للناس المرسل اليهم وتعزروه يعني وتقووه وتنصروه والتعزير نصر مع
تعظيم وتوقروه يعني وتعظموه يعني والتوقير التعظيم والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه
عن جميع النقائص والتسبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير دينه
ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله وتعزروه وتوقروه راجعة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف على وتوقروه وقف تام ثم يبتدي بقوله وتسبحوه بكرة
واصيلا على ان الكناية في وتسبحوه راجعة الى الله عز وجل يعني وتصلوا لله وتسبحوا الله بالغداة والعشي
قوله عز وجل ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا انما يبايعون
الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام
والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها
وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلة سميت ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال
وقال ابن القصار بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين
يشددونها ق عن يزيد بن ابي عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصنا
من اغصانها عن رأسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة
بين الحديثين ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين يديه حتى
يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن عمر قال ان الناس كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر
يا عبد الله انظر ما شان الناس احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع
الى عمر فخرج فبايع وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم قال ابن عباس يد الله بالوفاء وعدهم من الخير فوق ايديهم
وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق ايديهم
كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة وقال الامام فخر الدين
الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان
تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم
الى الله كما قال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وثانيهما يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من نصرتهم اياه

Copyright © King Saud University